

64 - مقتطف وموقف من كتاب: سلطان الأسطورة جوزيف كامبل

المتقطف: ص 130

كامبل

"... كان Black Elk "الأيل الأسود"، كان صبيا من قبيلة Sioux (من داكوتا الشمالية) وكان الصبي حينذاك في حوالي التاسعة من عمره، وقد حدث هذا له قبل أن تواجه الفرسان الأمريكية القبيلة التي كانت أقوام شعب السهول الكبير .

الذي حدث أن الصبي مرض نفسيا، وتحكى عائلته قصة الشامان التقليدية، فقد بدأ الصبي يرتجف ثم أصبح لا يتحرك من أسفل، وانزعجت عائلته عليه جداً وأرسلت إلى الشامان الذي كان عنده تجربة من هذا النوع في صباه، وطلبوا منه أن يحضر كمحلل نفسى وأن ينزع الصبي من حالته، ولكن بدلا من أن يخلص الصبي من القوى الإلهية فإن الشامان حاول أن يجعله يتكيف مع هذه القوى، وأن يجعل القوى تتكيف معه، وهذه مشكلة مختلفة عن مشاكل التحليل النفسى، وأظن أن نيتشه هو الذى قال: "احذر في إخراجك للشياطين أن تخرج أفضل شئ فيك". هذه الآلهة التى واجهها الصبي ولنسمها "قوى" تم الاحتفاظ بها وبقيت الصلة معها بدلا من أن تنقطع، مثل هؤلاء الرجال يصبحون بعد ذلك هم الذين يقدمون النصيحة والهدايا لأقوامهم .

الموقف

(1) حكى جوزيف كامبل هذه التجربة، لصديقه المقدم (المهاور) "بيل موريز" وهو يحاول أن يجيب عن تساؤله عن "قدرة الشامان على مساعدة المرضى"، نتيجة لمرور الشامان نفسه بتجارب ماثلة سابقة، كان موريز يسأل في الصفحة السابقة (129): "وهذا الشخص الذى حدثت له هذه التجربة النفسية؟ تجربة الصدمة وهذه النشوة، هل سيصبح المفسر للآخرين؟ فأجاب كامبل: إنه قد يصبح المفسر للتراث الميثولوجى للحياة .. (ثم حكى هذه القصة قصة الصبي الأيل الأسود)، وكامبل هنا لا يدافع عن موقف، ولا يدعوا لبدل، لكنه يدعونا للتأمل.

(2) نلاحظ أن اساس المعالج هنا هو خبرته السابقة بتجارب مشابهة وخروجه منها إيجابيا.

(3) لا يحاول الشامان أن يطرد هذه القوى التي تلبست الصبي (عكس ما يفعله أغلب المعالجين الشعبيين الآن وهم **يطردون الجان**)

(4) كامبل سُمي هذه القوى باسم "القوى" فقط، وأحياناً باسم "القوى الإلهية" وهى هى التي اعتبرها **الشياطين**، وهو يستشهد بنيتشه، فهل هذا يعنى شيئاً؟ لماذا الأساطير، وبعض التصوف تستعمل هذه الكلمات بالتبادل هكذا؟

(5) إن استشهد كامبل بقول نيتشه "احذر في إخراجك للشياطين أن تخرج أفضل شئ فيك" لا يعنى بالضرورة دفاعاً عن الشياطين، التي تسمى في الأساطير أحياناً آلهة، بل إن ما وصلتى هو أن كل هذه التسميات إنما تشير إلى "القوى الأخرى" بداخلنا التي لا نكتمل إلا بها، ربما مستويات الوعى الأخرى، أو حالات الذات الداخلية"

(6) إن أغلب العلاجات الشعبية تكاد تفهم الطبيعة البشرية وتركيبها المتعدد أكثر عمقاً، **وعلماء من الطب النفسى الاحتزالي الميكنى**، الذى يلجأ عادة إلى ما هو ألين من إخراج الجان أو التصالح معهم، حين يقتل هذا الجزء الأقدم (الوعى الآخر) من المخ مجرد أنه ثار من طول المنع والقهر، ثار مستقلاً حتى بدا خطراً على الواحدية oneness (أن يكون المرء واحداً لا أكثر في لحظة بذاتها) إن ما يفعله التداوى الشعبي فيه حوار ما، أما هذا القتل بالكيمياء طول الوقت طول العمر فأمر آخر. (وهذا لا يعنى تفضيل التداوى الشعبي عن فن التطبيب. أنظر بعد).

(7) إن الشامان - في قصة كامبل - حاول أن يجعل الصبي يتكيف مع هذه القوى، وهذا لا يكفى من وجهة نظرى، لكنه حاول أيضاً أن يجعل هذه القوى تتكيف معه.

(8) إن كل ذلك، وهو موجود هكذا في الأساطير، وقد اقتطفه كامبل ليستشهد به هنا، إنما يشير إلى ضرورة إعادة النظر فيما يسمى الطب النفسى الحديث، لا لنستبدل به التداوى الشعبي العشوائى، ولكن لنحترم من خلاله الطبيعة البشرية، بعد أن نفهمها من خلاله أيضاً.

(9) إنه ينبغى إعادة النظر في محاولات الطب الشعبي التخلص من هذه القوى، حتى لا تكون النتيجة وجوداً مختزلاً، تماماً مثل الذى حذر منه نيتشه "تخرج أفضل ما فيك".

(10) إن الطب النفسى التطورى (من منظور تركيبى هيراركى إيقاعى) لا ينكر هذه القوى حتى لو صدرت في صورة أعراض خطيرة مثل الهلوسات السمعية مثلاً (سماع أصوات لا وجود لها) وفي نفس الوقت هو لا يحاول أن يحترمها لدرجة تبرر الجنون أو تسهم في التفسخ وفقد الواحدية oneness، وإنما يتدخل المفهوم الطبى التطورى التركيبى المرن للحد من غلواء هذه القوى (ولو بالعقاقير مؤقتاً، خاصة العقاقير التي يستعملها لأنها تعمل انتقائياً على المخ الأقدم)، ثم هو يحاول أن يتمكن من إعادة إطلاق هذه القوى مع غيرها في الاتجاه الصحيح بعد أن يكون قد توصل مع المريض إلى

احتمال استئناف المسار (معا) ليس فقط مع الطبيب أو المعالج، وإنما مع مستويات الوعي بعضها مع بعض.

(11) في العلاج المكثف الأعمق، وفي العلاج الجمعي النمائي قد تجرى تمثيلية صغيرة mini-drama مع هذه القوى، ونكلمها وتبادل معها الأدوار ليس باعتبارها آلهة أو شياطين، أو جانا وإنما باعتبارها ذواتنا الأخرى" التي أنكرناها بوسائل متعددة منها الطب الميكنى الحديث!!.

(12) على الرغم من فرحة كامبل - كما وصلتني - بدور الشامان الذي يحاول أن يجعل الصبي يتكيف مع تلك القوى، وأن يجعل القوى تتكيف مع الصبي، والتي ترجمتها أنا إلى محاولة تنظيم وتصالح مستويات المخ (مستويات الوعي = ذوات الداخل) مع بعضها البعض على الرغم من كل ذلك، إلا أني أجد في نفسي ميلا للتحذير أن يكون هذا هو غاية المراد من العلاج.

(13) أحيانا نكون مضطرين إلى فض الاشتباك، مثلما في الهدنة أو معاهدات الصلح، وضمن عدم الاعتداء مؤقتا، لكن الأفضل - ما أمكن ذلك - هو أن يكون هذا الاجراء المؤقت نوع من التكيف وهو مرحلة جيدة، تنطلق بعدها، ومن خلالها مسيرة النمو (الممتدة حتى الموت وربما بعده) في جدل متصل مع كل المستويات مهما بدت متناقضة.

(14) أذكر مرة أخرى، دون تفسير علمي، أن "زكاها" = (تعني) "نماها"، وليس رجح أحد شقيها،

(15) وإنما يتم الاحتواء "لفجورها وتقواها"، لصالح استمرار حركية النمو إلى وجه التناغم الأعظم إليه كدحا (جدلا) لنلاقيه.

وبعد

أعرف أن مسألة تعدد الذوات، وتعدد مستويات الوعي، وتعدد تركيبات المخ تحتاج أكثر كثيراً جداً من كل هذا، وسوف نعود إليها مئات المرات .

بيئي وبينكم

وهل صدرت اليومية إلا لهذا.

- سلطان الأسطورة: جوزيف كامبل (مع) بيل مويرز، وهو حوار دار بينهم بين عامي 1985 / 1986، ترجمة بدر الديب / سنة 2002 في سلسلة المشروع القومي للترجمة.